الفصل الأول

أفيون ماركس !

obeikandl.com

- **الغيبوبة** :

= ظلت الكنيسة الكاثوليكية ـــ ولقرون طويلة ـــ هى المتحكم الوحيد والأقوى فى شئون أوربا ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، من امتلاك رجال الدين والنبلاء للإقطاعيات الزراعية ، وسلطتهم على عروش أوربا ، وتحكمهم فى الملوك ، وتجارة الباباوات والقساوسة بالدين ، بما عُرف بصكوك الغفران ، كحجة للناس لامتلاكهم قراريط فى الجنة ، والتفتيش فى قلوب الناس وفى أفكارهم ، بما عُرف بمحاكم التفتيش ، والحكم عليهم بالإعدام حرقا بتهمة الهرطقة ، لدرجة قول القساوسة آنذاك " خير للكنيسة أن تعدم مائة برىء من أن يهرب مُهرطق واحد " . إلى إعلان الحروب الصليبية علي المنطقة العربية ، والتى كانت بفتوى وتحريض وإشراف من البابا أوريان الثانى ، فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ، وتجريم الكنيسة للفكر والعلم والإبداع والفنون ، فتحكم على العالِم الفزيائى جاليليو بالسجن ، ثم يخفف السجن إلى الإقامة الجبرية ، ومنع كتبه وأبحاثه ، بتهمة الهرطقة ، لقوله بمركزية الشمس ، وأن الأرض تدور فى فلكها ، وهى الحقيقة التى أقرها القرآن الكريم قبل جاليليو بقرون طويلة ، بأن الأرض وسائر الكواكب والنجوم كل فى فلك يسبحون ، كما حرَّمت الكنيسة ترجمة الإنجيل حتى يحتكر القساوسة فهمه وحدهم . قيدت العقل وإنتاج الفكر ، فظلت أوربا تعيش فى الظلام والجهل .

= فينتفض على الكنيسة المصلح الاجتماعى مارتن لوثر ١٤٨٣ / ١٥٤٦ ، الراهب والقس الألمانى وأستاذ اللاهوت ، قام بالثورة على قهر الناس وتغييبهم باسم الدين ، وجاهد فى ضرورة فصل الدين عن الدولة ، فكان ذلك بداية لعصر الإصلاح ثم التقدم الذى يشهده العالم اليوم . وكانت فلسفته تقوم على أنه " ليس المهم أن تكون الكنيسة من ذهب والقساوسة من خشب ، ولكن المهم أن تكون الكنيسة من خشب والقساوسة من ذهب "

= ففى عصور الظلام والظلم والقهر ، لا يكون أمام الناس غير اللجوء إلى الأنس بالدين ، تديناً أو تقية ، إخلاصا لله أو خوفاً من وصاية وكلاء الله ! ، وهو نوع من

الهروب من الواقع المادى الأليم على النفس ، وقسوة الحياة ، وقهر الحكام ، هذا الهروب والتقوقع النفسى الروحى هوعادة كل الشعوب من أى دين وملة ، فى أوقات الهزائم والفتن والقهر والفقر والجهل ، وكما أن هناك هروباً إلى الدين ، هناك الهروب من الدين ، فالناس يهربون " إلى الدين " فى فترات الضعف والقهر والهزيمة ، ويهربون " من الدين " عندما تتزعزع عندهم الثوابت ، وتتزعزع الثوابت عندما تسود شريعة الغاب ، محليا وعالميا ، وتنعدم القوانين الإنسانية ، وتتأخر عدالة الإله ، عندما تتسلط عليهم قوى الظلم والشر والدمار ، البشرى أو الطبيعى ، فيتساءلون : أين الله ؟ كيف يتركنا لبشر يحرقوننا بقنابل ذرية ، أو يذبحوننا وهم يصيحون بإسمه ؟ أين رحمته بنا من تلك الأعاصير والبراكين والزلازل والفيضانات ؟ لكن أمور الدنيا تُقاس بمعاييرالدنيا ، البلاء والابتلاء ، والدفع والجذب ، ومحاولات الأخذ بالأسباب ، وأن الله لن يهزم أمريكا مثلا ، وقد فعَّلت العقل والعلم ، ولن ينصرنا لمجرد أننا ملأنا الأرض بالمساجد والأرفف بالمصاحف !

= يقول عالم الاجتماع الألمانى ماكس فيبر : إن الطبقات الفقيرة والمحرومة تتجه إلى الدين كوسيلة للهروب من الظروف التى يعيشونها . والهروب إلى الدين ليس شرطاً أن يكون تديناً . والغريب أنه كلما ازداد هروب الفرد إلى الدين كلما قل نشاطه السياسى والاجتماعى والإنتاجى .

= وحين يهرب الناس إلى الدين ليتهم يلجأون إلى روحه وجوهره ، وهل يبحث عن الروح والجوهر سوى العقول المستنيرة والنفوس المطمئنة ؟ فكيف يبحثون عن الجوهر وهم مطحونون منهكون أميون جائعون خائفون ؟ هؤلاء يصنعون لأنفسهم الطقوس والعادات والأعراف ، التى يستأنسون ويستدفئون بها ، لعلها تُخدِّرهم ، فينامون تنويما مغناطيسيا ، حتى لايشعرون بمرارة الواقع ، ليتشكل فى مجتمعاتهم مناخ الكسل والوخم والركون والكمون والسكون ، والاكتفاء بما ترك السلف ، ومعاداة انجازات العصر ، والتواكل والتناحر والتكيف والتخلف وإيثار السلامة ، والقتل والاقتتال بالمفهوم الخاطئ للجهاد ، والتعصب للقبيلة والطائفة والمذهب .

**

= ويبحث كارل ماركس ، الفيلسوف الاشتراكى ، والمنظّر الإجتماعى الألمانى ١٨١٨ / ١٨٨٣، عن أسباب التخلف الذى ساد المجتمعات الأوربية قبل ثورتها العلمية والصناعية ، فيقول مقولته التى فهمناها خطأ " إن الدين هو أنين الكائن المضطهد ، وقلب العالم عديم الرحمة ، وحس الظروف القاسية ، إنه أفيون الشعوب " . ففى أوربا كان مخدِراً يحقنه رجال الدين للناس هناك . أما المسلمون فيحقنون مظاهره وقشوره وشكلياته ، لبعضهم البعض ، فأسكرتهم الشكليات وحجبتهم عن الواقع . وقد فسر ماركس مقولته بقوله " أن المُضطَهدين والمُهمَشين والمطحونين ، لم يجدوا لهم عزاء وملجأ إلا فى الدين ، للتخفيف من معاناتهم " . فمقولة ماركس وصف دقيق لظلام أوربا قبل أن تنتفض من غفلتها ، كما أنها تشخيص صادق لحالتنا وأحوالنا ، فرحنا نلعن المقولة مكابرة منَّا ، ولانريد الخروج من الحالة عجزاً . هى تفسير نفسانى اجتماعى صحيح ، حالة نعيشها ونعانى منها ، بل نتلذذ بها ، فما العيب لو اعترفنا أننا نعيش حالة إدمان بشكليات الإسلام ؟ مغرمون نحن بترديد النصوص ولا تطبيق ، اختزلنا الدين فى المظاهر والقشور، فلا دنيا أصبنا ، ولا آخرة جنينا . فمن ينكر مظاهر التخدير الدينى عندنا ؟ والدين الشعبوى ، الذى أخَّر مجتمعاتنا العربية والإسلامية ؟ معظم قضايانا نربطها بالغيب ؟ فالزلزال من غضب الله ، وليس له قانون جيولوجى ، ووفرة إنتاج القمح من رضا الله ، ولاتخضع لقوانين علمية ، فيبدو أن المسلمين اليوم ، يمرون بما مرت به أوربا فى العصور الوسطى .

**

= ومن خصائص الشعوب الإسلامية ، أن جيناتها إذا سمحت بفصل الدين عن أمور الحكم والسياسة ، فإنها لن تسمح بفصله عن حياتها ، وإذا كانت الأنظمة الديكتاتورية التى حكمتنا قد وضعت الإسلاميين كفزاعة للشعوب ، فقد وضع الإسلاميون الليبرالية والعلمانية فزاعة لتلك الشعوب ، تجلى ذلك أثناء خلخلة وإسقاط الأنظمة العربية المستبدة ، فيما سُمىَّ بثورات الربيع العربى ، وراحت هواجس الموتورين بقشور

الدين وشكلياته ، من العامة والمتعلمين ، تردد خوفها من كلمة مثل الليبرالية ، وقد تقدم بها الغرب وساد العالم ، فمن يكره التقدم من أى باب ، والرقى من أى سبيل ؟ ولن نتحدث هنا عن " اللادينية " التى تقدم بها بعض دول الشرق ، والتى لن تقبلها فطرتنا أصلاً . يقول الدكتور أسامه الغزالى حرب : وإذا كانت هناك عبارة واحدة تُلخِّص جوهر التحرك الثورى الذى تشهده ، بل تصنعه شعوب كثيرة فى عالم اليوم ، ونحن ندخل القرن الواحد والعشرين ، فإن هذه الكلمة هى " نحو مزيد من الليبرالية " ، وتظل الليبرالية بقيمها وأفكارها هدفا عزيزا ، ينبغى السعى بدأب لترسيخه على مستوى النخبة والجماهير (١)

= فلا خوف على الدين عندنا ، فالناس فى مجتمعاتنا تحمَرُ وجوههم غضبا أمام أى هفوة تطول الدين ، فالدين من الأعمدة الأساسية للشخصية المصرية ، والمتدينون فى مصر سواء المسلمون أو المسيحيون ، يؤثرون ويقدمون انتماءهم الدينى على أى انتماء آخر ، كما يقول الدكتور ميلاد حنا . ولو امتلك العرب والمسلمون الشخصية القيادية ، وتفعيل العقل العلمى النقدى ، والتخلى عن الذاتية والطائفية والمذهبية ، ولو أنهم نظروا للمستقبل " كأنهم يعيشون أبدا " ، وفهموا روح العصر ، ولو لم يجعلوا من الدين معايير للعلم ، كما حشروه فى السياسة ، وبما يملكون من مؤهلات وإمكانات وثروات ، لكانوا فى طليعة الأمم ، ولأخذوا من دينهم وتراثهم ومستجدات العصر ، وما يتناسب مع ظروف التربة العربية والإسلامية ــ ما يؤهلهم لوضع المصطلحات ، بدلاً من تلك النظريات التى تصيبنا بالحساسية ، والتى لاتبتعد كثيراً عن روح الإسلام ، فالعدل والعلم وكرامة الإنسان وقدسية العمل وحرية الفكر والاعتقاد والمواطنة ، هى العامل المشترك بين تراثنا المعتدل ، ومصطلحاتهم التى تصيبنا بالحكة الجلدية . وكانت بذرة تخلفنا الأولى ، والتى نبتت وأثمرت واستفحلت ، هى ظننا بالتعدى على قدرة الله بالعلم البشرى ، وإيماننا بأن العلم الذى طالبنا به الله ، هو علم مشروط .

= ويرى الأستاذ السيد ياسين ، أن جوهر الحداثة الفكرية الغربية التى أدت إلى تقدم المجتمع الأوربى ، هو أن العقل وليس ــ النص الدينى ــ هو أساس اتخاذ القرارات

السياسية وصياغة الاستراتيجيات المناسبة للتطور ، ثم يقول : لايجوز فى المجال السياسى الادعاء بأن الحاكم هو ظل الله على الأرض ، مكانته لاتُمس اعتماداً على مرجعية دينية . إن تكوين العقل النقدى هو أساس قيام الدول المتقدمة ، والعقل النقدى هو عكس العقول المنساقة بروح القطيع ، لافكر ولا إبداع .

= فكانت مشكلة أوربا فى العصور الوسطى هى الاستبداد الدينى للكنيسة ، قصده رجال الدين لاستمرارية نشر الجهل والغيبوبة بين الناس ، والذى قابله عندنا مظالم الاستعمار ثم استبداد حكامنا المحليين ، الذين قهروا شعوبهم وخدَّروها باسم القومية والعروبة والثورة وقضية فلسطين وقشور الدين ، موالد الأولياء والفتاوى العشوائية ، أهملتهم أنظمة الحكم اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا ، وغيَّبتهم عن قضاياهم الإنسانية الأساسية ، بالتجهيل والإفقار وتسطيح العقول والقهر ، وقد توسمت فيهم شعوبهم العدالة والتنوير ، خاصة أنهم جاءوا بعد استعمار أجنبى ، للأسف لم يكونوا أفضل منه ! فهرب الناس إلى حضن الدين بقشور التدين ، هروباً سلبياً فى احتقار الدنيا يمثله المتصوفة ، وهروباً حركياً تكفيرياً دموياً تمثله الجماعات المتطرفة ، هؤلاء وأولئك فقدوا التوازن بين حركة الفكر وسكينة الإيمان .

= وللفاشية أكثر من شكل ، فاشية باسم الوطن والقومية ، وأخرى باسم الدين والحكم الإلهى ، والفاشية فى الحالتين أحادية الرؤية ، لاترى سوى رؤية واحدة ، وهى تعتقد أنها الصحيحة والكاملة ، وما عداها هى الخيانة إذا كانت باسم الوطن ، أو كفراً إذا كانت باسم الدين ، والفاشى يعتقد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة ، مرجعيته مقدسة ، وهو لايخطأ أبدا ، ويستبعد كل من ليس فى زمرته .

**

= بعد رحيل الاستعمار استبد الحكام بشعوبهم ، استخدموا التعليم والإعلام ومنابر المساجد ، لتظل السيطرة للسطحية والتفاهة على عقول الناس ، علاوة على تفشى الأمية ، وإتلاف عقول الناشئين والشباب ، وتكريس الإعلام لثقافة التسلية

والضحك واللامبالاة ، والناس عايزه كده ، ثقافة التيار السائد ، والرضا بالمألوف ، سياسة التجهيل لاستمرارية استبداد الحاكم . وكان للمساجد دورها الخطير فى تسطيح الثقافة الدينية ، فالدنيا حقيرة وليس لها لزوم ، ونشر فكر التطرف والتشدد ورفض الآخر وتكفيره ، علاوة على تكفير المسلم للمسلم ، ووصف المجتمع بالجاهلية ، ونشر الأساطير والخرافات ، ونقل الناس من أرض الواقع ، ووضعهم فى عوالم الغيبيات وظلام القبور، والانغلاق والوقوف عند ماتركه لنا جيل الخيل والبغال والحمير ، وتوقف العلم عند بن تيمية والبخارى وبن كثير، وتحريم الكثير من الثقافات والعلوم ، ونشرخطاب الكراهية لأى آخر، ليبرالى ولو كان يقيم الصلاة ويحج بيت الله ، أو قبطى يمارس طقوسه وينشد السلام فى مجتمعه ، وإهانة طقوسهم ومقدساتهم واستحلال أموالهم ونسائهم ، وسيادة لغة القتل والتخويف والترهيب ، وقتل البسمة والأمل والتفاؤل والإقبال على الحياة فى نفوس الناس . فحب الدنيا جناية ، وحب الجمال جنحة ، وكثرة الضحك حرام ، فلا شم للنسيم ولا عيد للربيع ، فهو بدعة نصرانية ، والنصارى كفار ، سمعتها من متنطع بسكسوكة " شعيرات خفيفة فى الذقن " على المنبر . والتكشيرة تذكرك دائما بالموت ، والأمل فى الدنيا جريمة ، وتعييش الناس فى زنقة القبور مع الشجاع الأقرع طول الوقت مطلوب ، وبناء المساجد أهم من بناء المصانع ، مع أن الشعب المتدين الذكى الفطِن ، هو الذى يلبس الجلباب أولاً لكى يدارى عورته ثم يصلى ، طغيان خطاب التواكل ، وخلّيها على الله ، والنسل .. تنظيم أو تحديد كله حرام ، فلا أحد يموت جوعا ، نحن نرزقهم وإياكم ، فالنيل ينبع من الجنة ، ورزقكم فى السماء وما توعدون ، والعمل مش عبادة يا اخويا ، العبادة هى الصلاة ، سمعتها من متنطع آخر ملتحٍ قصيرالجلباب على المنبر ، ولاثقافة إلا فى علوم الدين ، فالفلسفة زندقة ، والروايات فسق ، والرسم حرام ، وتدريس الكيمياء كفر ، وصناعة التماثيل شرك بالله ، والفرجة على مباريات كاس العالم حرام ، والمصارعة كفر، والشعراء يتبعهم الغاوون ، فما بال حسان ابن ثابت شاعرالرسول ؟ الإنسان الآلى الذى يقوم بتجميع أجزاء السيارات فى المصانع شرك بالله . الشيخ عبد الرؤوف ميكانيكى السيارات سيلقى خطبة الجمعة اليوم ، والشيخ سيد نجار المسلح

سيلقى درس العصر ، فتاوى الشيخ عبد الله المُحصِّل فى السكة الحديد بعد كل عشاء ، يتشكل بها وعى الصغار ، ويتسطح بها فكر الكبار ، قوات الجيش الثانى تقتل المدعو أبو منير ، مفتى الجماعات الجهادية فى سيناء ، عامل النظافة فى المعهد الدينى بإحدى قرى العريش ، الدولة تشجع موالد الأولياء ، ساحات الخرافات والخزعبلات والزنا واللواط والحشيش والبانجو .

= وكانت جريمة الأنظمة الحاكمة فى عالمنا العربى والإسلامى ، والمتوالية عبر العصور ، أنها اجتهدت بقصد ، فى بقاء الشعوب أسيرة الغيبوبة ، الأبجدية والدينية والسياسية ، وإبعاد الوعى عنها ، فوعى الشعوب ، هو العدو الأول للأنظمة المستبدة ، فلجأ الناس إلى الدجل المُغطى بالدين ، يسبون الدين على المقاهى ويدافعون عنه عند الكنيسة ، وبدلاً من الوعى كان ملأ الوعاء ، وشَغْل الناس بالصراع بين الأهلى والزمالك ، والترجى والمريخ ، وكأس السوبر ، ورغيف الخبز ، وأغانى لاتسأل عن معناها : السح الدح امبو ، وبحبك ياحمار ، وركِبونى مرجيحتى عايز أركبها لوحدى . معايير الصلاح عندنا دائما مرتبطة بمظاهر التدين لابروح الدين ، اللحية والمسبحة والتمتمة والجلباب القصير والمسواك والزبيبة فى الجبهة ، السيد البدوى وإبراهيم الدسوقى وأم العواجز ستفتح لهم أبواب الرزق والبركة ، شى لله ياسيد يابدوى " شيء لله " ، مدد يا أم هاشم " السيدة زينب " ، العجل للسيد البدوى والجدى لابراهيم الدسوقى . وثقافة التسلية وتلويث العقول ، الفرجة على مسرحية مدرسة المشاغبين أفضل من برنامج العلم والإيمان لمصطفى محمود ، أوعالم البحار لحامد جوهر ، الدولة تكرس لظاهرة الجمهورعايز كده ، والجمهور يتمادى فى التفاهة ، أغانى الميكروباس والتوك توك تطغى على روائع الزمن الجميل ، أم كلثوم وعبد الوهاب وفيروز وفريد الأطرش وعبد الحليم ...؟ الانفجار السكانى ، ربنا هو الرزاق ، الحزب الحاكم حاكم طول ماهو حاكم ، العادة عندنا عبادة ، والموروث عندنا عقيدة ، نتمسك بالقشور والمظاهر ، فجوة بين الدين والتطبيق ، هروب رجالى جماعى للجلاليب القصيرة واللحية ، هروب نسائى جماعى للنقاب ، هروب جماعى شبابى للمقاهى والملاهى ، دائما نتصدر فى الهايفة ، نتمسك بحرفية النصوص ،

السواك عند كل صلاة ، ياسيدى " العِندية " ليست بالضرورة وأنت خلف الإمام ، بلاش قرف ، المسألة ليست زغزغة أسنان ، كل مُحدثة بدعة ، ومعجون الأسنان والفرشاة بدعة ، فلماذا تركبون عربات الدفع الرباعى بدلاً من الجمل ، وعليها مدافع الجرينوف بدلاً من السيوف ؟ يسألون عن حكم قتل السحلية ، والسُنيّون يذبحون من يؤذن أذان الشيعة على صيحة الله أكبر ، والشيعيون يذبحون من لايقول علىّ ولى الله على صيحة ياحسين ، ننشغل بهيئات الصلاة ، وعقولنا تتمشى على كورنيش النيل أوالفرات أودجلة ، نُقطّع سجادة الصلاة ونأكل حقوق أخواتنا البنات ، يعمل الواحد منا عُمرة كل سنة ويجورعلى حدود جيرانه ، يحج كل سنة ويبصبص للنسوان ، دى نقرة ودى نقرة ، ناكل مال النبى ونُحلّى بأموال الصحابة ، والتفسير الدينى لكل شاردة وواردة ، فالزلزال فى أمريكا ..انتقام من الله ، والفيضان فى الهند لأنهم يعبدون البقر ، والحرب الأهلية فى لبنان جزاء الفسق والمجون ، ومحمدين جاموسته فطست ، طبعاً من سيرة الناس على لسانه طول النهار، وعبد الله العيَّان بالسل : من عمايله السوده ، وهزيمتنا فى ٦٧ انتقام إلهى من جمال عبد الناصر ، لأنه لم يكن يقول فى بداية خطاباته بسم الله ، غاب عنهم أن الحاكم إذا بدأ خطابه قائلا " بسم الله " فكل ماسيأتى من كلام فهو مقدس ولانقاش فيه ولامراجعة ، مادام هو يتكلم باسم الله ، فالحاكم أو المتحدث هنا قد نصَّب نفسه ظلا لله على الأرض ، باسم الله أتكلم الآن ، وباسم الله أحكم ، نيابة عن الله ، والنائب عن الله لايخطئ ، حتى جاء أنور السادات ، ولمجرد أنه قال بسم الله ، أطلقوا عليه الرئيس المؤمن . والدعاء بنزول صاعقة من السماء على إسرائيل ، فليس لدينا صواريخ تتنزل عليهم ، ستون عاما يدعون على المنابر أن يزلزل الأرض من تحت أرجلهم ، فإذا بهم يزلزلون هم السماء من فوق رءوسنا ، المسلمون عندهم انفصام فى الشخصية ، يدعون على دول الكفر فى المساء ، ويستوردون منهم رغيف الخبز فى الصباح ، طوابير الشباب والكهول أمام سفارات " الغرب الكافر " ، تستجدي منهم فيزات عمل عندهم لغسل الأطباق أو جمع العنب ، يموتون غرقاً فى عرض المتوسط عشقا لبلاد الكفر ، " الكفار " الذين رحمونا باختراع البنج ، واسعفونا بالقطار والطائرة ، التوكل عندنا تواكل ، والصبر خنوع ،

وإن لم يفلح الشيخ فى علاجه فربما يجده فى الكنيسة ، نُفضِّل السير فى الحذاء ، محلك سر ، فلماذا نتعب أنفسنا ، فالخطوة مكتوبة ، والظلم مكتوب ، والفقر مكتوب ، والذل مكتوب ، واحنا طلبنا الآخرة ، بينما الكفار طلبوا الدنيا ، يلجأون للصوفية أو يدخلون فى الرهبنة . ياكل مال النبى ويهتف فى مظاهرة الرسوم المسيئة للرسول ، القتل للحاكم ، القتل للكافر ، القتل لمن ليس على ملتنا ، والقتل لتارك الصلاة ، والقتل لمن يسب الدين ، والقتل لمن يجهر بالصلاة ، من ليس معنا فهو ضد الإسلام ، نحن الإسلام ، والقتل لطه حسين ، وللشيخ على عبد الرازق ، وللشيخ محمد الذهبى ، ولنجيب محفوظ ، ولفرج فوده ، ولنصر حامد أبوزيد ، ولأنور السادات ، ولسيد القمنى ، ولشكرى بلعيد ، ومحمد البراهمى ، وللشيخ محمد سعيد البوطى ، والقتل لكل من يُفكِّر ، فما دامت النصوص موجودة فما الداعى للتفكير ، الله فكرَ لنا ، وسيتولى قتلهم المجاهدون أبوقتاده وأبو حفص وأبو العباس وأبو القعقاع وأبو دُجانة . شفاؤكم أمام المساجد ، فى العطور والبخور والكتب الصفراء ، يقرأ الورد مساء ويزوِّغ من العمل فى الصباح ، عنده تبرير لكل شيء ، يلوى عنق الآيات على مقاس هواه ، إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالصلاح ، طيب ليه الحاج عبد الهادى البقال ـــ مُقطِّع السجادة المجاورة للمنبر ـــ ودائما يغش فى الميزان ؟ الضمير نزل إلى الأرض قبل الدين ، لكى يجد الدين غرفة صالحة يعيش فيها حينما ينزل ، ومع مرور الزمن رحل الضمير وبقى الدين تائها بلا مأوى . انتخبوا رجل الخير والبر والإصلاح ، نعم سننتخبه ، فهو رجل طيب ، مربى دقنه وحالق شاربه ولايفوته فرض ، وسبحته ٩٩ حباية ، لكن الجرايد تقول أنه استغل الحصانة فى مجلس النواب ، واستحوذ على أراضى فى طريق اسكندرية المتر بجنيه ، وأخذ شققاً لأولاده من مساكن الزلزال . لاتنسوا رجل العلم والسياسة ، آه .. قصدك الملحد ؟ خلاص .. ننتخب مرقس عبد الملاك ، الخبير الاقتصادى العالمى ، إزاى ننتخب واحد نصرانى ؟ لكنه عالم وخبير ، أيوه لكنه نصرانى ، ياأخى قول قبطى ، لا.. هو نصرانى . اتصل الخال عبد البصير بالقناة التليفزيونية وقال للمذيع : تصدق بالله ياسيدنا الافندى ، زمان لما كانت مراتى تغضب وتروح بيت أبوها ، كان شيخ الجامع يروح يصالحها فى ثانية ،

انهارده لما أشوف واحد فى الميكروباص اللى ها اركبه مربى دقنه ، بأقول للسواق امشى ، مش ها اركب ، رحم الله المتنبى حين قال : أغاية الدين أن تحفوا شواربكم / ياأمةً ضحكت من جهلها الأممُ ؟ . الإسلام هو الحل ، الخلافة هى الحل ، الدين ستارة ومغازلة ودغدغة لمشاعر البسطاء ، وللفقر دور كبير ، الفرجة على أفلام الغرب كفر ، وصباح الخير كفر ، والعمل فى وظائف الدولة كفر ، والديمقراطية كفر ، مرتبات الحكومة حرام ، شيل صورة أبوك عشان الصور حرام ، هذا الكافر .. يغنى قدر أحمق الخطى ؟ أكل السمك بالليل حرام ، الجلابية الطويلة حرام ، السلام على النصارى حرام ، وتهنئتهم فى أعيادهم حرام ، والأغانى حرام ، والموسيقى حرام ، والمحامين حرام ، وشرب الماء البارد حرام ، والتليفزيون حرام ، والسينما حرام ، وأكل البازنجان قبل الفجر حرام ، وظيفة المرأة حرام ، والعلاج عند الطبيب النصرانى حرام . اشتريت موبايل نوكيا يابانى ، وسيارة لادا روسى ، وجلابية بيضاء صينى ، وفانوس لهيثم وبالونة لرشا صينى ، وولاعة صينى ، وكشاف صينى ، وسبحة ومصلية بالبوصلة صينى ، إسلامية إسلامية رغم أنف العلمانية ، ٢٠ مليون عاطل فى العالم العربى ، الإسلام هو الحل ، احنا شطار فى الشعارات ، لا .. احنا شطار فى الدعاء ، اللهم يتم أطفالهم ، وجمد الدم فى عروقهم ، وزلزل الأرض من تحت أرجلهم ، اشترينا ٣٠٠ ألف طن قمح من روسيا ، تبرعوا لبناء مسجد الرحمن الرحيم ، ومسجد الرحمن ، ومسجد الرحمة ، ومسجد الديان ، ومسجد الريان ، ومسجد العدنان ، ومسجد الفرقان ، ومسجد التوبة ، ومسجد الأمانة ، ومسجد الاستقامة ، ومسجد القناعة ، ومسجد الشفاعة ، ومسجد التقوى ، ومسجد الحرمين ، ومسجد الروضة ، ومسجد الفردوس ...، الشوارع ملياته فوضى ، والناس على القهاوى ، حطيت فلوسى فى شركة الريان ، وأنا حطيتها فى الشريف ، شيخ الجامع قال إن البنوك حرام ، الشركة أعلنت إفلاسها ، ضاعت فلوسك ياصابر ، المعاملات الإسلامية ، والبنوك الإسلامية ، والصكوك الإسلامية ، والمدارس الإسلامية ، والبرامج الإسلامية ، والمواقع الإسلامية ، والزى الإسلامي ، والقنوات الإسلامية ، والشركات الإسلامية ، والفِرق الإسلامية ، والأفراح الإسلامية ، والأغانى الإسلامية

، والمصايف الإسلامية ، والأدب الإسلامى ، والحكومة الإسلامية ، والحكم الإسلامى ، والدستور الإسلامى ، والثورة الإسلامية ، والجيش الإسلامى ، والكوافير الإسلامى ، والمشروع الإسلامى ، الخلافة الإسلامية ، الجمعيات الإسلامية ، الجماعات الإسلامية ، الحركات الإسلامية ، والمفكر الإسلامى ، والكتب الإسلامية ، وإسلامية إسلامية ، مفيش صواريخ إسلامية ؟ ومصانع إسلامية ؟ ومزارع إسلامية ؟ وضمائر إسلامية ؟ ما رأيكم فى البطل عبد العاطى الذى دمر للجيش الإسرائيلى ٢٦ دبابة ؟ لا بطولات للأمة بعد بن الوليد وابن العاص وأسامه والقعقاع فى حروب العقيدة ، أما تلك فهى حروب من أجل الأرض ، من أجل الوطن ، وما الوطن سوى قبضة من التراب العفن !

= يقول الدكتور محمود اسماعيل ، آن الآوان لتقديم الإسلام " التثويرى" ، كأديولوجية للبرجوازية والكادحين ، مقابل الإسلام " التخديرى " المبرر لطُغمات العسكر ، وطواغيت الثيوقراطية المتطرفة ، آن الآوان لوضع ابن رشد وابن خلدون ، فى مكان الغزالى وابن تيمية (٢) ، فمحمود إسماعيل هنا يدعو للإسلام الثورى المنتفض دائما على الظلم والاستبداد ، الباحث فى أسرار الكون ، لا إسلام التكفير والقتل والخضوع والخرافات والأساطير والخزعبلات التى تُخدِّر الجماهير ، على اعتبار أن أبا حامد الغزالى خدَّر الأمة ، وبن تيمية أسال دمها .

= كل هذا جعل هُويتنا باهتة ومائعة وتائهة ، لالون لها ولاطعم ولارائحة ، لم تتشكل لنا شخصية بعظمة تاريخنا الأول ، ولاهُوية بعظمة إسلامنا ، ولأن المسلمين عموماً يفتقدون التوازن والموازنة بين الروحى والمادى ، وفشلوا فى تكوين تلك الهُوية ، تجد الجماعات المتطرفة اليوم ، تعمل جاهدة لتكوين هُوية لها ، لابد أنها ستكون فاقعة بلون الدم .

= وللأسف لايمكننا القول بأن المجتمعات العربية والإسلامية ، قد تأثرت بالفلاسفة والمفكرين والمصلحين العرب ، القدماء أمثال ابن رشد وابن سينا والفارابى والرازى وغيرهم ، والمحدَثين أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى

وطه حسين وذكى نجيب محمود ومحمد عابد الجابرى ونصر حامد أبو زيد وفرج فوده وغيرهم ، مثلما نقول أن المجتمعات الغربية تأثرت بالفلاسفة : كانط وجان جاك روسو وبرتراند راسل وديكارت وهيجل وغيرهم ، وكل مانستطيع قوله ، أن الشعوب العربية والإسلامية ما هى إلا نِتاج فكر خطباء المساجد .

- **الخلافة الآن .. تخلف :**

= جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى : أن الخليفة هو من يخلف غيره فى الزمان أو المهمة ، ومصدرها الخلافة ، وخلف فلان فلانا أى قام بالأمر عنه ، إما فى وجوده أو لغيابه . أما قول الله " إنى جاعل فى الأرض خليفة " ، فالخليفة هنا هى البشرية كلها ، بوظيفة عمارة الأرض ، وربطها بالسماء .

= ونرى أن كلمة الخلافة " مناسبة لغوية لحالة سياسية " ، طرأت فجأة على المسلمين فى لحظة موت النبى ، فالرسول مات ، والطبيعى ، وحتى لغويا ، أن من سيأتى بعده يخلفه ، مِن خلفَ يخلفُ فهو خليفة ، وسوف ينادون عليه بـــ " الخليفة " ، فيكون هو لقبه السياسي ، فاستحسنه الناس ، ورضى به أبى بكر ، ربما قصدوا ألا يقلدوا الفرس والروم فى تسمية حاكمهم ، فلقب الدولة فى الأصل حالة لغوية تناسب واقع الدولة ، لذلك وبعد ثورة ٢٣ يوليو فى مصر مثلا ، وفى البلاد التى أنهت حكم الملك والملكية ، فكانت حالة الثورة والثوار والجمهور والجماهير تستدعى مسمى " الجمهورية " . وكان المسلمون يخالفون أهل الحضارات الأخرى فى أشياء كثيرة ، وإلا أطلقوا على خليفة الرسول إمبراطورا ، وفى هذا الزمن كان لقب الملك معروفا فى مناطق كثيرة . لذلك فالذين رفضوا البيعة لأبى بكر ، وهم من كبار الصحابة ، كسعد بن عبادة مثلاً ، كان يوقن أنه لايعارض فى أمر من أمورالدين ، ولكنه يعارض فى أمر من أمورالدنيا وسياستها

= وكانت الخلافة أولى المشاكل بعد موت النبى ، قال الأنصار نحن أصحاب المدينة ، ونحن الذين آوينا وناصرنا ، فنحن أحق بالخلافة ، وقال المهاجرون نحن أقرباء

الرسول وأول من آمن به وناصره فنحن أحق بالخلافة ، فقال الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، فرفض المهاجرون قائلين منا الخليفة ومنكم الوزراء . لذلك نجد فى هذا الحوار اختفاء الشريعة وظهور السياسة ، ولم يوصِ الرسول أو يقرّ بخلافة أحد من بعده .

= ويجتهد المتاجرون بخلط الدين فى سياسة الأمم ، فى جذب عواطف الجماهير بإلقاء شعارات براقة يستقطبون بها قلوب البسطاء ، فاخترعوا ثلاثة شعارات خدَّروا بها عقول العامة والمتعلمين ، وشغلوا بها الأمة وهى : الخلافة الإسلامية / الإسلام هو الحل / المشروع الإسلامى ، شعارات مطاطة وفضفاضة . الخلافة .. الكائن الهُلامي على رأى الدكتور طارق حجى . فمن يكره تطبيق شرع الله ؟ وماهى آليات ع القدس رايحين شهداء بالملايين ؟ وما شكل هذا المشروع الذى يرتدى عباءة الدين ؟ كما يجتهدون فى استدعاء نصوص دينية مناسبة لتوجهاتهم ، وأحكام الفقهاء المتسقة مع أفكارهم ، وتوظيفها توظيفا فجاً فى معترك سياسات داخلية وعالمية ، لاتعترف بالجمود والبلادة ، فالناس عندنا أسرى لكل مافيه رائحة للدين ، يقول ابن خلدون ، عالم الاجتماع العربى : إذا عرضتَ قضية على العامة ، وأردت أن يتقبلوها فغلفها بالدين ، وكما قال ميكيافيلى " عندما يُدخِل مُحدثك الدين فى جملة مفيدة ، فاعلم أنه يريد أن يُسكتك " ، فهل لك قول بعد قول الدين ؟

= وكان الإمام محمد عبده يرى أن السياسة قائمة على المواءمات والتوازنات والمقايضات والمناورات ، وما فى ذلك من لوازم الزيف والخداع والبهتان والكذب . لذلك فقد استعاذ من السياسة والساسة . وها هى الخلافة قد ذهبت وبقى الإسلام ، شعارات ظاهرها فيه الأمل ، وباطنها أكله الصدأ ، فى زمن نجد فيه جسد الإسلام عندنا ، بينما روحه ترفرف فى اليابان وتايوان وسنغافورة والصين وألمانيا ..... ، أليس منهج تلك الدول هو تقديس العلم والعمل والحرية والعيش الكريم وكرامة الإنسان والعدالة الاجتماعية ؟ هم يعيشون بروح إسلامنا ، ونحن نتعَّيش على أجساد ضمائرهم الحية ، هم نفذوا من أقطار السماوات والأرض ، ونحن لازلنا نجادل فى شكل الدولة

جمهورية أم خلافة ، نتقاتل على قطعة أرض نبنى عليها مسجدا أوساحة لنقيم عليها " مُولد " لسيدنا الولى ، القرآن عندنا نصوص وعندهم تطبيق .

= وكم عانت الشعوب من القهر والذل والتخلف تحت مسمى الخلافة الإسلامية ؟ جماعات تستغل الدين واجهة لشرعية وجودها وتسلطها ، مجتمعاتنا فقيرة ومهلهلة وممزقة ومترهلة ، لن ينقذها سوى الإصلاح من أى باب ، والتقدم من أى توجه ، وإلا ..فالامبراطوريات تتبعثر ، فأين دولة الخلفاء الراشدين مترامية الأطراف ، والأندلس بعد أكثر من ٨٠٠ سنة ، والإمبراطورية المصرية فى عهد محمد على ، والخلافة العثمانية ؟ أين الإمبراطورية البريطانية ، والاتحاد السوفييتى ؟ والدول والمجتمعات تندثر، أين الهنود الحمر ، ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، أين عراق صدام حسين ؟ وهل بُنيت أوربا وأمريكا بمشروع مسيحى ؟ وهل تقدمت اليابان والصين بمشروع بوذى ؟ فعظمة الدول ليست بالمسميات ، ولا بالوعاء الذى يشكّل الدولة ، خلافة أوإمارة أو مملكة أوجمهورية أوجماهيرية عظمى أو اتحاد أو ولايات ، ولو كانت الأمم تتقدم بمحرك الدين ، فماذا فعلت الوهابية فى جزيرة العرب ، والسنوسية فى المغرب العربى ، والمهدية فى السودان ، والعثمانية فى امبراطوريتها الشاسعة ؟

= يقول فؤاد شاكر فى كتابه كارل ماركس " يترك الإسلام أمورالدنيا لأفضل أهل الدنيا علماً وخلقاً وكفاءة ". ولم يترك الرسول وصية بشكل الدولة ، ولو قامت خلافة اليوم ، فهل ستكون خلافة راشدة أم خلافة غاشمة ومراهقة ، أو متطرفة متشددة ، تبرر لنفسها القتل والذبح لقيامها ودوامها ؟ بالمبدأ الذى قاله شكرى أحمد مصطفى ، زعيم تنظيم التكفير والهجرة ، فى سبعينيات القرن العشرين : لقيام دولة الإسلام لابد من إهراق الدم على أعتابها . أم خلافة تنظيم داعش الذى فاقت مذابحه مذابح التتار والحملات الصليبية .

= والعامة يعتقدون أن الإسلام فى خطر، والحقيقة أن حدود الدول الحاضنة للإسلام هى التى فى خطر ، ربما هم حريصون على الآخرة ، لأنهم لم ينالوا من الدنيا ناقة

ولاجمل . ومع ذلك ، ففى بلاد المسلمين التى يُكفِّرُها المتطرفون ، تجد فى كل حارة مسجدا وزاويتين ، وفى كل شارع خمسة جوامع ، وشارع عمار بن ياسر يؤدى إلى ميدان عمر بن الخطاب ، ومسجد عبد الله بن مسعود فى شارع أبو بكر الصديق ، وجمعية أم المؤمنين عائشة فى شارع الإمام الشافعى ، وأسماء الله الحسنى مرصوصة على أسوار المدارس والنوادى ، وبتلقائية يصيح الجيش المصرى" الله أكبر " عند عبوره لقناة السويس فى حرب أكتوبر ، وجهاز خاص للحج والعمرة ، والأزهر الشريف جهة الاعتدال فى العالم الإسلامى وطلابهم يدرسون فيه ، ومدينة للبعوث الإسلامية ، ومجمعاً للبحوث الإسلامية ، ووزارة للدعوة فى كل دولة ، وإذاعة للقرآن الكريم أنشأها جمال عبد الناصر الذى اتهموه بالكفر ، فكان أول من جمع القرآن " إليكترونياً " ليذاع على مدى اليوم ، ولاأحد من المسلمين يأكل قبل أن يسمى الله ، وفى كل قرية معهدا لتدريس علوم الدين وكتاتيب لتحفيظ القرآن ، ومعاهد وكليات لتدريس العلوم الدينية ، وتطبيق شبه كامل لأحكام الشريعة ، ومكبرات الصوت ترفع الأذان فى غريق الليل ، والاحتفال بليلة القدر ومسابقات كبرى لحفظة القرآن ، وأساطين التجويد والترتيل فى مصر والعالم الإسلامى ، وأولياء الله الصالحين فى كل بقعة من أرض العروبة والإسلام ، وحب فطرى لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بلا تشيع ، والموالد الصاخبة فى ساحات أولياء الله ، والحج والعمرة كل عام أولى من إطعام الجائعين ، يهتفون ع القدس رايحين شهداء بالملايين ، وفى مصر أكثر من ثلاثين مليون إنسان مابين جائع وعاطل ، ياحكام البلاد افتحوا باب الجهاد ، وكان جهادهم فى ذبح الناس وتدمير أفغانستان وباكستان وسوريا والعراق والصومال وليبيا واليمن والسودان ولبنان ومصر على صيحة الله أكبر . لقد فعلت الجماعات المتطرفة بشعوبها ما لم يفعلوه بالإسرائيليين ، ولم يشهد العالم الإسلامى مفخخات ومفرقعات إلا على أيدي من يلبسون عباءة الإسلام .

= فكان من الأولى الحديث عن الحضارة الإسلامية ، التى هى غاية ، وليست الخلافة الإسلامية ، التى هى وسيلة وشكل ، الخلافة التى قامت على مظالم السلاطين ، وصلف أولادهم الأمراء ، ودسائس القصور ، والخداع والاغتيالات وقطع الرؤوس

التى حان قطافها ، . ويُثبت التاريخ أن الأمراء كانوا شغوفين باقتناء النساء من كل جنس ولون وتحت مسميات كثيرة . وكانت آخر خلافة يسمونها الرجل المريض .

**

= وقد خلت الشريعة من أى نص يرسم لنا شكل الدولة فى الإسلام ، يقول القاضى الشرعى الشيخ على عبد الرازق ١٨٨٨/ ١٩٦٦ : لم نجد فى مباحث العلماء من جاء بالدليل ، بآية من كتاب الله ، على فرضية قيام الإمامة ، أى الخلافة ، وأما قول الله : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ... ٥٩ النساء ، وقوله تعالى : ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم .... ٨٣ النساء ، فالآيتان لاشيئ فيهما يصلح دليلا على الخلافة التى يتكلمون فيها ، ولايصح أخذ شبه الدليل دليلا . ويقول فى موضع آخر : ليس القرآن وحده هو الذى أهمل تلك الخلافة ، بل السنة أيضا ، فالحديث : من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ، وقول الرسول لحذيفة : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، هذه الأحاديث ليس فيها مايصلح أن يكون دليلاً على وجوب الخلافة . ويواصل الشيخ على عبد الرازق قائلاً : اقتُرنت الخلافة دائما بالغلبة ، ولايذكر التاريخ لنا خليفة ، إلا اقتُرن فى أذهاننا بتلك الرهبة المسلحة التى تحوطه ، والقوة القاهرة التى تظله ، والسيوف المرفوعة فى الهواء للدفاع عنه . ثم يقول : وطبيعى فى الأمم الإسلامية بنوع خاص أن لايقوم فيهم مُلك إلا بحكم الغلبة والقهر ، والواقع المحسوس الذى يؤيده العقل ويشهد به التاريخ قديما وحديثا ، أن شعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لاتتوقف على ذلك النوع من الحكومة التى يسميها الفقهاء الخلافة ، ولا على أولئك الذين يلقبهم الناس خلفاء ، فإنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام والمسلمين ، وينبوع شر وفساد ، فمنذ القرن الثالث الهجرى أخذت الخلافة الإسلامية تنقص من أطرافها ، فانحصرت فى دائرة ضيقة حول بغداد ، وصارت خُراسان وماوراء النهر لابن سامان وذريته من بعده ، وبلاد البحرين وعمان للقرامطة ، واليمن لابن طباطبا ، وأصفهان وفارس لبنى بويه ، والأهواز وواسط لمعز الدولة ، وحلب لسيف الدولة ، ومصر لأحمد بن طولون ومن بعده

للملوك الذين تغلبوا عليها وامتلكوها كالإخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك وغيرهم . حصل ذلك ، وما كان الدين فى بغداد ــ مقر الخلافة ــ ولاكانت شعائره أظهر ، ولاكان شأنه أكبر ، ولاكانت الدنيا فى بغداد أحسن حالا ، ولا شأن الرعية أصلح . ويهجم التتار على بغداد ، وتسقط الخلافة ، ويقتلون الخليفة العباسى المستعصم بالله ، ويقتلون أهله وأكابر دولته ، ويبقى الإسلام ثلاث سنوات بلا خلافة ، وكانت مصر قد نَزَعت عنها رِبقة الخلافة ، وأنكرت سلطانها ، وعاشت بعيدا عن ظل الخلفاء ، وعن الخضوع الوثنى لجلالهم الدينى المزعوم ، أرأيت شعائرالدين فيها دون غيرها أُهملت ، وشئون الرعية عُطلت ، وهل أظلمت دنياهم حين سقط عنها كوكب الخلافة ، كلا : رحلوا فما بكت الدنيا لمصرعهم / ولاتعطلت الأعياد والجمعُ .

= ويواصل الشيخ على عبد الرازق قائلا : ولهذا اللقب ــ أى الخليفة ــ روعة وفيه قوة ، وعليه جاذبية ، فلا غرو أن يختاره الصِّديق ، وهو الناهض بدولة حادثة ، يريد أن يضم أطرافها ، حتى لاتقع بين أعاصير الفتن ، وزوابع الأهواء العاصفة المتناقضة ، وبين قومٍ حديثى العهد بجاهلية ، وفيهم بقايا العصبية ، وشدة البداوة ، وصعوبة المِراس ، لكنهم حديثو عهد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخضوع له ، والانقياد التام لكلمته ، فهذا اللقب جدير بأن يكبح من جماحهم ، ويلين بعض مااستعصى من قيادهم ، ويذكّرهم برسول الله . وينقل لنا الشيخ رأى ابن خلدون قوله : بأن الخلافة الخالصة كانت فى الصدرالأول إلى آخرعهد على بن أبى طالب . (٣)

= ويُجمع مفكرو المدنية الحديثة ، أن العصر لم يعد يعترف بنظام الخلافة ، ولاهى تصلح ، فمن من حكام العالم الإسلامى سوف يتنازل عن عرشه لمولانا الخليفة ؟ وهل سيوافق وزراء الدفاع العرب والمسلمين ، على أن يتلقوا الأوامر من وزير دفاع عام يجلس فى مصر أو فى السعودية أوفى تركيا أو باكستان أو الجزائر ؟ وهل أجهزة المخابرت العربية والإسلامية ستوافق على الاندماج تحت قيادة واحدة ومخزن أسرار واحد ؟ ومن أين ستُقاد الخلافة ؟ هل ستقاد من منطقة عربية هزيلة وممزقة ، أم من منطقة شعوبية ، يشعرون فيها بالفوقية على الجنس العربى كإيران وتركيا ، أم ستقاد

من القدس المحاطة بالقنابل النووية ؟ فالأقاليم العربية والإسلامية حكامها سلطويون دنيويون مستبدون تابعون للقوى العالمية ، فاشلون فى إدارة بلادهم ، من منهم سيسمح بأن يُقاد وهو القائد ، ومن منهم سيسمح بالاندماج والذوبان ، ويترك السلطة والجاه والمال ؟ فلماذا لاتكون كيانات واتحادات حديثة كبرى ، كونفدرالية مثلا ، وهو مايصلح للعالم العربى ، برؤساء وحكومات مستقلة ، لدول تجمعها أهداف واحدة ، ومصير مشترك ، بلغتها الواحدة ، وعملة واحدة ، يسعد فى ظلها أبناء الأديان الأخرى والأقليات ، يربط بينها اتفاقية دفاع مشترك وسوق مشتركة ، الاتحاد الأوربى نموذجا . فالعرب لديهم مقومات ومميزات لاتتوفر لأى قارة ، أو تكتل من تكتلات العالم ، ففى ظل الحرص على الرياسة ، وعروش الأسر الحاكمة ، يستحيل قيام كل هذه الدول بحكومة مركزية .

= والواقعيون يؤمنون بأن الخلافة صارت خرافة ، والتاريخ يثبت أنه ماقامت خلافة إلا على جماجم الناس ، عدا خلافة أبو بكر وعمر ، وماسُل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية ، مثلما سُل على الإمامة فى كل زمان ، ونعتقد أن إقامة دولة مدنية ديمقراطية حديثة ومستقرة ، تتفاهم مع العالم بلغته ، ذات سيادة وحدود دائمة ، ينعم فيها الناس بالأمن والخير ، أفضل من امبراطورية تتنازعها الأهواء والخلافات والدسائس ، أسهل وأيسر وأكثر واقعية والتحاماً بواقع العالم ، من محاولات إقامة دولة خلافة لاهمَّ لها سوى الوصاية على الناس باسم الله .

= تقول الدكتورة هبه رءوف عزت : أن الدولة التى ورثناها بعد هذه الثورة ، فى لحظة أشبه ما تكون بلحظة الاستقلال ، لايجب أن نقفز على هذه اللحظة بالاستغراق فى الجدل حول شكل الدولة دون أن نحاول إعادة تركيبها (٤)

= وعلى مستوى العروبة والقومية فشلت محاولات الوحدة العربية ، الجزئية والكلية ، فى عالمنا العربى الطائفى والمذهبى والقبلى ، مرة مصر مع سوريا فى عهد عبد الناصر ، ومرة إرهاصات وحدة بين مصر وليبيا والسودان فى عهد السادات ، ومرة المغرب العربى بين الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا ، وكم بُح صوت المثقفين

لإقامة سوق عربية مشتركة على الأقل ، فيبدو أن عالمنا العربى قابل للانقسام وغير قابل للالتئام ، فما بالنا بالعالم الإسلامى مترامى الأطراف ، الممزق جغرافيا ونفسيا وسياسيا ، وأمامنا النماذج الفاشلة لدول النعرات الدينية كالسودان والصومال وأفغانستان ، أما إيران فليست دولة النعرة الدينية ، ولكن هى دولة الأيديولوجية الطائفية ، تتقدم بهدف الطائفة التوسعية ، وإصرار الملالى .

= وقبل ثورات مايسمى بالربيع العربى ، كانت المنطقة العربية ، وبخبرة الحاكم المزمن ، والثروات المادية والبشرية الهائلة ، والشعوب المتعطشة لذلك ، مؤهلة للانطلاق والتقدم ، لولا الفساد وعدم الاستعداد . ثم تأتى الفرصة الذهبية للمنطقة بعد الثورات ، لولا هجوم التيار الأصولى الرجعى عليها ، الذى حوَّل تلك المنطقة من عصور التخلف إلى زمن التفتيت .

**

= استمرت الخلافة الراشدة حوالى ٢٩ سنة ، من عام ٦٣٢م حتى عام ٦٦١م ، وهى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وقد صارت الخلافة بعدهم ملكا عضودا ، قائماً على الاستبداد والتوريث بلغة العصر ، وإن كان قد جاء عمر بن عبد العزيز بعدهم بحوالى ٨٠ سنة ليعيد الخلافة الراشدة لمدة ٣ سنوات فقط . فكانت الخلافة خارج هؤلاء الخمسة هى خلافة اللهو بالنساء واقتناء الجوارى والغلمان ، خلافة الدسائس والمؤامرات والقتل بالسم والخنق والشنق والمذابح وغرور الأمراء وأبنائهم وصراع الأخوة على السلطة ، بل وقتل الأخوة لبعضهم البعض بسببها . وكما يقول الباحث فاروق القاضى " يريدون خلافة لن تكون أحسن من الأموية ، ولا أفضل من العباسية ، ولا أكثر تقدما من السلطنة العثمانية ، زعموا أنهم سيصلحون السياسة بالدين ، فأفسدوا علينا الاثنين "

= صحيح كان الأمراء فى عهود الخلافة ، يجاهدون فى سبيل توسيع الرقعة الإسلامية ، ولكن ما قيمة ذلك وقد ضيعت سلبياتهم فتوحاتهم ، ففى الخلافة الأموية لم يكن هم الخليفة يزيد بن معاوية غير اللهو والنساء ، ويُعتبر هو أول خليفة يشرب

الخمر جهارا نهارا ، وأكثر من شراء الجوارى ، وبناء القصور لهن ، وكان الخلفاء يتبارون أيهم الأكثر فى اقتناء الجوارى والراقصات ، ولايعنيهم من شئون البلاد والعباد سوى لذَّاتهم وشهواتهم ، وكان سطح نهر دجلة مفروشا بالسفن فى عهدها كأنها الأساطيل ، وما كانت غير مساكن للراقصات والمغنيات والجوارى . وفى الخلافة العباسية كثر الطلب على الجوارى فارتفع ثمنهن ، وكان الخليفة يدفع عن طيب خاطر ليُرضى لذاته وشهواته . وهى أيضا خلافة التعصب والعنصرية ، التى جعلت الخليفة العباسى المتوكل عام ٨٦١ م يجبر المسيحيين بلبس الطيالس العسلية والزنانير ، وأن يضعوا على رؤسهم القلانس لتمييزهم . وفى الخلافة العثمانية كان السلطان بايزيد الأول هو أول من وضع مبدأ قتل الأخ ، ولما جاء السلطان محمد الثانى جعل قتل الأخ قانونا من قوانين المُلك ، وركنا من أركان حفلة التتويج ، ففى اليوم الذى يتولى فيه السلطان يقتل أخوته ، حتى لاينافسه أحد منهم أو يتآمر عليه ، فيقتل السلطان محمد إخوته الثلاثة عيسى وموسى وسليمان ، وفى خلافة آل عثمان أيضا يحتفل مراد الثالث بختان ابنه احتفالا أسطوريا لم يعرفه التاريخ ، أقام الأفراح ٥٥ يوما وبنى القصور لسُكنى الضيوف من الأمراء والملوك والمعازيم من جميع الدول ، أنفق فيها الملايين ، جاءوا للاحتفال بقطعة جلد تُقطع من طفل (٥)

= وكان لى عنق الآيات سبباً فى تضليل شباب الأمة ، فيلوى أبو الأعلى المودودى عنق الآية : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) النور ، متخذا منها دليلا على قيام دولة خلافة .

= فكلمة " ليستخلفنهم " لاتحمل بالضرورة إقامة دولة بمسمى الخلافة ، أوتعنى منصب الخليفة ؟ فإذا كان وعد الله لمن آمن وعمل صالحا بدولة " خلافة " ، حسب عددهم ، كاستثناء من مجموع الأمة ، فماذا عن الباقى ؟ هل هم الرعاع والحرافيش

تحت أرجل هؤلاء ؟ وهل الشعوب التى كانت فى دائرة الخلافة العثمانية مثلا هم المؤمنون فقط ، وباقى الشعوب الإسلامية خارجها كافرون فاسدون ؟ ولماذا توقف " وعد الله " منذ عدة قرون ، والكلام لابد عن خلافة راشدة ؟ إذاً فالأمة تعيش كل هذا الزمن بلا مؤمنين وبلا أعمال صالحة ؟ جاء فى تفسير ابن كثير للآية " هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أى أئمة الناس ، والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وقد فعله تبارك وتعالى ، ففتح للرسول البلاد ، وقدم له الهدايا هرقل عظيم الروم والمقوقس صاحب مصر والإسكندرية " وراح بن كثير يعدد فتوحات المسلمين بعد الرسول . ويقول الدكتور سيد طنطاوى فى التفسير الميسر " أى ليجعلنهم فيها خلفاء ، يتصرفون فيها تصرف أصحاب العزة والسلطان ، كما جعل عباده الصالحين من قبلهم خلفاء " . ومجمل القول نفهم منه أن المسلمين ينبغى أن يتمتعوا بالعزة والسيادة ، لا بالتبعية والذل والهوان ، ولايدخل فى ذلك رسم شكل للدولة ، خلافة أومملكة أوجمهورية .

ـــ أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله تعالى ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله تعالى ، ثم تكون ملكا عاضا ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله تعالى ، ثم تكون ملكا جبرية فيكون ماشاء الله أن يكون ، ثم يرفعها الله تعالى ، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة . ثم سكت (٦) . فإن صح هذا الحديث ، فالرسول يرتب فترات الأمة ، ولو جاءت للأمة " خلافة على منهاج نبوة " بعد كل هذا الحكم الاستبدادى ، فلا يمكن أن تكون هى مجرد الإسم الذى أعلنه تنظيم داعش مثلا ، وبأعمالهم الوحشية التى يمارسونها .

= واستبعد الشيخ الألبانى أن تكون خلافة عمر بن عبد العزيز ، هى التى قالها الرسول ثم سكت ، لقربه من عهد الخلفاء الراشدين ، إذ جاءت بعده كل عهود الاستبداد والقهر .

= لكن .. كيف تأتى خلافة على منهاج النبوة ، كما فى الحديث " قبل سكوت الرسول " ، فى حين وجدنا حديثا آخر ، يُقصِر الخلافة الراشدة على عهد الراشدين الأربعة فقط ؟

ـــ عن سفينة رضى الله عنه قال ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم " الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ، ثم ملك عضود ... " رواه الإمام أحمد فى مُسنده ، وسفينة هو مولى الرسول ، وسُمىَّ كذلك لأنه كان يحمل أشياء كثيرة فى السفر .
= وغاية القول ، أن الخلافة ليست هى الإسلام ، ولا الإسلام هو الخلافة ، وإنما المقصود هو الرشد والعدل فى الحكم أيا كان نوعه .

- **للجدل والاستهلاك :**

= جاء خريف الثورات العربية ، لتنفجر براكين الانتقام والتكفير والجدل والاتهام بالعِمالة ، وترديد مصطلحات وشعارات لتضييع الوقت وتمييع المواقف ، ودغدغة عواطف العامة : ليبرالية ، علمانية ، دولة مدنية ، دولة دينية ، خلافة إسلامية ، الإسلام هو الحل ، ع القدس رايحين شهداء بالملايين ، لاسياسة فى الدين ولادين فى السياسة ، الشعب يريد تطبيق شرع الله ، الانتخابات أولا ، الدستور أولا ، حالة سيولة من الجدل والحوارات والتشنجات والتعصب والثرثرة عن عاطفة وليس عن واقع انقاذ البلاد ، والكلام لمجرد الكلام ، بغريزة التعالم وادعاء المعرفة ، استنزافا لطاقة الدول فلا تخطيط ، وتعطيل لطاقة الشعوب فلا إنتاج ، الليبرالية كفر ، والديمقراطية كفر ، تشنج الجماعات متيبسة الفكر ، فتخرج مظاهرات إسلامية ، ومظاهرات ليبرالية ، وتُرفع أعلام القاعدة فى ميادين القاهرة وصنعاء ودمشق وطرابلس وبغداد ، وهتافات بإسلامية الدولة ، هواجس العاطفة العربية المحافظة والمتدينة بطبعها ، مصدرها الصورة الذهنية المتراكمة التى تكونت لدينا عن الغرب ، والتى جاءت فى اتجاهين متوازيين هما : صورة الغرب كمستعمر ، وصورته كمناخ حاضن للإباحية والعرى والتفكك الأسرى والانحلال والإدمان ، وبالإجمالى صورة " الكفار " التى يصرخون بتوبيخها ولعنها على منابر المساجد والفضائيات الطائفية . حالة الهرج السياسى الدينى وقد لبست ثوب الثورة ، وفراغ المناخ من القيادات القدوة ، وضياع الثقة ، وليت الأمر قد توقف عند مجرد الجدال وسيولة المصطلحات ، إذ تحولت الرقعة العربية لمرحلة الهجمات التكفيرية المسلحة ، والحروب المذهبية ، والصراعات

الطائفية ، التى تحرق حاليا فى الأخضر واليابس . فكانت مشكلتنا فى عدم ترسيخ حكام ما قبل الثورات لحياة ديمقراطية مستقرة ، وبناء دول المؤسسات لا بناء الأنظمة ، دول لاتقع عند أول هزة ، فحدث الفراغ السياسى ، ليمتلئ هذا الفراغ بالهاموش الدينى المتطرف ، عوام تأصلت فيهم على مر سنوات طويلة ثقافة سمعية هشة وسطحية ، وربط كل القضايا بالجنة والنار ، انتشار ثقافة التكفير ، ومخاصمة واقع الحياة . فالجماليات تقود إلى الفتنة ، وعلوم الغرب تقودنا إلى الشرك ، فتظهر جماعة إسلامية فى نيجيريا تُسمى " بوكو حرام " ، وترجمتها التعليم الغربى حرام . لدينا حساسية مريضة من تجارب الغرب فى السياسة والعلم والفلسفة والفن والأدب ، وحقد على الشرق لتجاربه فى التقدم والتفوق الاقتصادى ، نُغرق أسواقنا بما انتجوا من لعب الأطفال ، ونرفض تجاربهم فى الاقتصاد ، نستورد أحدث الموضات فى الملبس وقصات الشعر ، ولاغيرة عندنا من تقدمهم وحبهم للعمل ، نستورد منهم أفخم السيارات ، ونرفض تجاربهم فى السياسة . لاندرى أننا ليبراليون بالفطرة ، دون سابق معرفة بالمصطلح ، فمن منا يقبل الاستبداد ، نكره الوصاية باسم الدين ، كما نكره التسلط العسكرى ، نجاهد من أجل العدالة ، وتهوى أنفسنا تنفس الحرية ، وتلك هى مبادئ " الليبرالية " المفترى عليها ، ومن تناقضاتنا ، أننا نجد تكوين الشعوب العربية والإسلامية ، الثقافى والنفسى أقرب للدين وللمتدينين رغم تشددهم ، منه لليبراليين رغم تسامحهم !

وتركب جماعة الإخوان المسلمين الثورة فى مصر وسوريا وليبيا وتونس واليمن ، فيهرول إليهم المتطرفون من كل أنحاء العالم ، حاملين أسلحتهم التى تسلموها من ترسانات أمريكا وإسرائيل وتركيا ، ليتولى بئر البترول القطرى التمويل ، وتنقلب الثورات إلى حروب مذهبية طاحنة ، التهمة فيها الكفر والذبح هو العقوبة .

- **كيف تكونت ثقافتنا ؟**

= ديكى ديكى أنت صديقى ، شرشر نط ، شرشر فط ، رميت الشنطة فى الأرض ؟ فيها كتاب الدين ! ربنا هيوديك النار ، هتروح النار ، الساحر قدَّام المدرسة يبلع

البيضة فى بقه ثم يخرجها من مناخيره ، شوفوا الحاوى بيعمل إيه ، القطة طلعت من بين رجليه ، صندوق الدنيا ، عيب ، حرام ، اسكت ، ما تتكلمش ، اخرس ، إيدك على ركبك وانت قاعد ، أقعد مؤدب ، خليك مؤدب ، هس ، الأدب فضلوه على العلم ، الثقافة العربية أصَّلت ورسَّخت فينا مبدأ الطاعة ، حتى لانتمرد على الأبوين عملا بقول الله تعالى " ولاتقل لهما أف " ، ولا نتمرد على الله ورسوله وأولى الأمر ، فكانت المشكلة ، أننا رضخنا للطاعة كلها كحزمة واحدة ، وصلت لنفاق الرئيس فى العمل ، فهو ولى النعمة ، والخوف من العمدة ، فبيده توصيلنا إلى السجن ، لذلك فمن يتزوج أمى أقول له ياعمى ، كده غلط ياولد ، ربنا ها يوديك النار ، أيوه كده صح ، ربنا هايوديك الجنة ، تربينا على الغيبيات ، فابتعدنا عن الواقع ، فماذا لو علمناهم القيمة والقيم مجردة ، بعيدا عن المؤثرات الغيبية ، وبأساليب غير مباشرة ، فيخرج إنسانا سوياً فى نفسه ، صالحا لمجتمعه ؟ الغجرية هاتشوف بخت الولد الصغير ، قالت معمول له عمل ، صنعت له حجابا ، يسمونه تحويطة ، ربما تحوطه من كل شر ، فيها حبيبات من الشعير والحلبة الحصى والعدس ، و٣ شعرات من خروف له رجل واحدة وجناح وطواط أخضر . كوم من طوب القمائن ، ولمبة جاز منورة مدفونه فيه ، يبقى سيدنا الشيخ ، الفاتحة لسيدنا الولى ، صاحب هذا المقام نعشه طار يوم جنازته ، كلام فارغ ، استغفر الله العظيم ..استغفر ربك يارجل . بالليل شفت عفريت قاعد تحت النخلة فى الوسعاية ، اللهم اجعل كلامنا خفيف عليهم ، تف من بقك ، قال سيدنا علقمة وروى سيدنا حنظلة وجاء عن سيدنا.. ، سيدنا سيدنا ، حلال حرام حرام حلال ، اغسل رجليك أونفضها بعد ماتنزل من على المقابر ، محدش يزور حد فى بيته بعد نزوله من على المقابر ، محدش يكون حالق دقنه ويدخل علي العروسة قبل ماتسبِّع ، معلهش ، راحت علىَّ نومة ، والنبى ، لا والنبى ، والله ، لا والله ، معلهشى ، خليها على الله ، قول ياباسط تلاقيها هاصت ، قاعد قدامى وحاطط رجل على رجل ؟ اسمى هيثم باشا ، عارف بتكلم مين ؟ إسمى عزت بيه . معادنا إمتى ؟ الليلادى إن شاء الله ، الساعة كام ؟ ربنا يسهل إن شاء الله ، الساعة كم بالظبط ؟ بعد العشاء إن شاء الله ، الساعة كام يعنى ؟ إن شاء الله بعد العشاء ، حسانين سيتزوج فى جمع القطن ،

وسعدية فى حصاد القمح ، يعنى فى شهر إيه ؟ الصوفة تستعملها الستات عشان يحبلوا ، زوجته لايثبت فى بطنها جنين ، أكيد بطنها فيه عفريت ، لازم نروح للشيخ ، رحنا له ٥٠ مرَّة ، نروح للقسيس ، إرمى البشيمة فى بحر تكون الميه فيه جاريه ، عشان لبن البقرة يجرى ، كل تأخيره وفيها خيرة ، من خاف سلم ، والإيد اللى ماتقدرش تعضها بوسها ، وإن كان لك عند الكلب حاجة قول له ياسيد ، وخليك مع الرايجة ، وإذا رأيت الفقير يجرى فاعرف أنه يقضى حاجة للغنى ، فى بلادنا الخباز شريك المحتسب ، يأتى يوم نترحم على فرعون ، يامستعجل عطلك الله ، بتكلم بنت الجيران ليه ؟ يابايظ ، بتحب .. الله الله ! يَحُرم على البنت من ساعة عقد قرانها ، الخروج من بيت أبوها قبل أن ينتهى الشهر العربى ، لو خرجت مش هاتشوف الخلف ، الزلزال بيحصل ازاى ياشيخنا ؟ الأرض محمولة على قرن ثور ، ولما الثور يتعب من الحمل ينقل الأرض على القرن الثانى فيحصل الزلزال ، بتضحك ليه ؟ الضحك من غير سبب قلة أدب ، يافاشل ، وكثرة الضحك لابد أن تعقبها مصيبة ، فنقول بعد كل نوبة ضحك منَّ الله بها علينا : اللهم اجعله خيرا ، ياساقط ، بتسمع سعاد حسنى ، وبتتفرج على سهير زكى كمان ، وبتقرا مجلة الشبكة ، ياما تحت السواهى دواهى ، اتكسف على دمك ، انت مش نافع ، خللى عندك حيا ، الشيخه نادية كتبت عمل للواد بالزعفران الاحمر ، وقالت الورقة تدوب فى كوباية ميه ويشربها المحروس ، خمسة وخميسة على صدر الولد ، وعلى تابلوه السيارة تمنع الحسد ، الشبَّه والفاسوخة ، الشبَّه على النار تشكلت بشكل الرجل حرامى الخروف ، اللى ياكلها غيرك يطرشها ، القيامة هاتقوم بعد بكره ، اخرجوا إلى الحقول والميادين ، مفيش عداد كهربة ، شغّل كل اللمبات والمراوح ، مفيش عداد مياه ، افتح كل الحنفيات على الآخر ، أرباح البنوك حرام ، أرباح البنوك حلال ، التميمة والتمائم على صدور الأطفال ، تمنع عنهم الشر ، الرجل ده حسود وعينه وحشه ، ياعم دا بيصلى وحافض كلام ربنا ، لكنه بَص للجاموسة وبطنها منفوخ سقط منها العجل ميت ، مدد ياحسين ، مدد يا ام هاشم ، مدد يا ام العواجز ، نظرة ياست ، النعجة دى ها ندبحها على عتبة سيدى إبراهيم الدسوقى ، والمعزة دى على عتبة سيدى أحمد البدوى ، وسيدى عبد الرحيم القناوى ، وسيدى

إبراهيم أبوخليل ، وسيدى أبو الحسن الشاذلى ، قتل البرغوث حلال ، قتل البرغوث حرام ، أكل لحم العصافير حرام ، لا.. أكلها حلال ، السحلية فيها مفتاح الجنة ، لا تقتل السحلية ، وصية الشيخ أحمد إمام المسجد النبوى لابد أن تكتبها سبعين مرة ، من لايكتبها سيصيبه شلل . لاتقرأ سوى القرآن ، العلم فى القرآن ، أنت ماركسى ؟ ملحد يعنى ، هاتدخل كلية الطب قسم نسا ، وتشوف .....، لا ، عيب . ابنك لبنتى ، دول لسه بيرضعوا ، نحجزهم من دلوقتى ، الفاتحة للنبى ، بوس إيد جدك ، بوس إيد أبوك ، بوس الفلوس ، بوس لقمة العيش وارميها جنب الحيطة ، بوس إيد عمك الحاج ، بوس درابزين الحسين ، مدد ياحسين ، سيدنا الشيخ ، سيدنا الولى ، أيها الناس : يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام ، أبو حامد الغزالى قال إذا رأيت الفقر مقبلا عليك فقل مرحبا بشعار الصالحين ، نقدس الفقر ، ولو كان رجلا لقتلته ، اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا ، لماذا يامسلم هذه المسكنة ، بوس إيدك وش وضهر ، أنا العبد المأمور ، ماليش دعوة ، أنا مالى ، الأنا مالية ، الكتب الصفراء ، كتيبات السحر وطرد الجن تملأ الأرصفة ، برامج بريد الإسلام والفتاوى يصل إليها مئات الأجولة من الجوابات ، وآلاف الرسائل النصية sms ، استفسارات عن تفسير الأحلام ورؤية الجن وحكم قتل الصراصير ونهيق الحمار وعواء الكلاب ، وحكم تربية الكلاب والقطط فى البيوت ، وحكم تربية العصافير فى الأقفاص ، وحكم طرقعة الأصابع فى المسجد ، وحكم الجلباب الطويل ، والعطس والكحة والتثاؤب أثناء الصلاة ، وحكم قُبلة الرجل المتوضئ للبنت الرضيع ، ومدى حرمانية رؤية ظل المرأة ، ومدى حرمانية مكوجى ملابس السيدات ، برامج حرب النجوم لايتفرج عليها أحد ، بتكلم بنت الجيران ليه ، انزل من على الحمارة وانت فايت على دوار العمدة ، اخلع البلغة وامشى حافى وانت فايت على دوار العمدة ، اسكت أنت ماتعرفش ، سأحاول ، مش هاتعرف ، أعطنى فرصة ، أنت حمار ، أوعى العسكرى ، ها اجيبلك العسكرى ، اديله حقنه عشان يسكت ، أوعى العفريت ، جدتى حكت لى حكاية العفاريت الثلاثة ، أنا كنت ماشى فى الضلمة عند نخل السروى ، عفريت رمانى بالبلح من فوق النخلة ، ومرة كنت ماشى على الترعة البحرية ، والدنيا كحل ، أرنب

أبيض كعبل رجلى ، وأرنب تانى نط على كتفى ، شعر راسى وقف ، كانت جدتى تقول على السراب الذى يتنطط على الأسفلت فى حر بؤونة أنه غنم إبليس ، حتى الآن وأنا أجرى وراء " غنم إبليس " ، جلاليب النسوان السوداء فى المآتم والأفراح ، من عاش بالحكمة مات بالمرض ، القطة ماتت ؟ إرميها فى الترعة ، وارمى الكلب الميت فى الترعة ، بنشرب منها ، روح ياابن الكلب واسمع الكلام ، أمى خدتنى معاها الزار ليلة إمبارح ، أمى راحت تتنطط عشان العفاريت تخرج منها ، أبين زين أبين واضرب الودع ، تعالى يا خاله شوفى بخت ابنى ، سيدنا الشيخ سيُخرج الكنز بالبخور ، فرنسا جنة ، أعوذ بالله من بلاد الكفرة ، ربنا يسترها ، ممنوع تقعد جنب واحد مسيحى فى الفصل ، لاتقل له كل سنة وانت طيب ، كتاب إيه ده ؟ الإنجيل ..أعوذ بالله ، وبتسمع قداس الأحد ..أعوذ بالله ، اقفل التليفزيزن اقفل ، دا الكتاب بتاعهم ، مالك ومالة . الإنجيل كتاب الله ، محدش بيختار أهله ، محدش بيختار دينه ، محدش بيختار كتابه ، لاتشترى الجبنة والزيتون من دكان جرجس ياولد ، اشترى من دكان محمد أومحمود أو أحمد أوحسين . وكما يقول المغاربة : كل أكل اليهودى ولاتنام عنده ، ولا تأكل أكل النصرانى ونام عنده . قول له أبويا مش هنا ، انت كنت فى البيت وأولادك أنكروك ، علىَّ الطلاق ماكنت هناك ، عيب ، اسكت ، اخرس ، ماتتكلمش ، قاعد مع الكبار ليه ، ياولد يافاشل ، ياساقط ، انت هاتنفع ؟ الشيخ تاج الدين ورَّم رجلى بالضرب عليها بالفلكة ، كلم الباشا ، الباشوية اتلغت ، لكنه باشا ، المدير حرامى ، أسرق أنا كمان ، حلقة الذكر ، اللهم انصرنا على القوم الكافرين ، الكافرون ، الكفار ، الكفرة ، كل من لاينتمى للإسلام فهو كافر ووجب قتاله ، وقتله ، تارك الصلاة يُقتل .. أقول قولى هذا وأقم الصلاة ، أنا بحب الجامع ومش عايز أطلع منه ، وهاتاكل منين ، الله يرزق العصافير والدود ، انا بحب البنت سهير لكن مكسوف من أبويا ، ممكن أقول لأمى ؟ أمك هاتقول لأبوك ، هايبص فى عينيك ، هاتبص فى الأرض ، يابن امك ، زلزال فى روسيا قتل الألاف ، أحسن ، فهم كفار ، الطشت قال لى الطشت قال لى ، ياحلوة ياللى قومى استحمى ، السح الدح امبو ، إدى الواد لأبوه . أنا دخلت مع الإخوان المسلمين ، وأنا فى جماعة التبليغ والدعوة ، وأنا ها ادخل مع

أهل السنة والجماعة ، وأنا مع أنصار السنة ، وأنا مع أنصار الشريعة ، وأنا ... ، نحن الإخوان المسلمون ، من ليس معنا فليس من الإسلام فى شيء ، ولو صلى وصام ، الولد مجروح ، طرطر على جرحه ، الكلب يُعوِّص لازم شاف عزرائيل ، فيه حد هايموت ، الولد ممسوس ، أذن له فى أذنه ، اضربه على وشه ، البشعة تلسع لسانك وتكشف كذبك ، إيه ياحيوان ، علّم ابنك فى الأزهر ، يروح أى كليه بأى مجموع ، ابنى سيدخل كلية الشرطة لكى يخاف الناس منَّا ، ابنى سيدخل النيابة علشان يجيب حقنا ، اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، حفظت الكتاب صم ، وعن ظهر قلب ، لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب وصورة ، ماأفلح قوم ولو عليهم امرأة ، فما بال بلقيس وشجرة الدر وجولدا مائير وأنديرا غاندى ومارجريت تاتشر ، إذا غضب الله على قوم أمطرهم صيفا ، فما حجم غضبه عليهم فى الشتاء ؟ أيها المؤمنون : جاء فى الأثر أن رجلا خطر على قلبه الكرسى الذى يجلس عليه المولى عز وجل ، فوجد الرجل نفسه يطير فى الجو ، حتى استقرعلى سحابة ، بعدها راح يتنقل بين السحب ، سحابة على شكل فيل ، وأخرى على شكل جمل ، وغيرها على شكل ديناصور ، وغيرها على هيئة كلب ، وكانت هى آخر ماستقر عليه ، ثم هبط الرجل إلى أهله على آخر هيئة كان عليها . أقول قولى هذا ، واستغفر الله لى ولكم وأقم الصلاة ، أيها المسلمون ، شم النسيم بدعة نصرانية ، والنصارى كفار ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وأقم الصلاة ، يعنى الرسول تزوج مارية القبطية وصفية اليهودية وهن كافرات ، عيب ، اسكت ، اخرس ، ماتتكلمش ، الشجاع الأقرع ، قال الصحابى الجليل ، جاء فى الأثر ، عن ولى الله فلان بن فلان أنه قال : وعندما هجم جيش الكفرعلى جيش الإسلام جاءت سحابة وأمطرت على جيش الكفر نارا ، ديكارت وماركس وأينشتاين وهمنجواى وشوبنهاور ، ياخبر أسود ، تقرأ للكفرة ؟

= وكانت مشكلتنا فى العالم الإسلامى ، أننا وضعنا كل ماتركه الأجداد فى موضع قدسية القرآن ، قدّسنا الكلام وقدّسنا الرجال ، وفضلت الأجيال السير على نهجهم عجزا عن التنقية والتحديث ، تجنبا للانتقاد ، فاصطدم كم كبير من التراث مع حداثة العصر ، ونجد أن لكلمة " التراث " قداسة فى ثقافتنا ، تتوازى مع قداسة " القرآن " ،

تاهت الأجيال المتعاقبة بين كثرة المذاهب والآراء وتناقضها ، وادعاء المعرفة بالفطرة والعاطفة ، وتعليم عشوائى متعصب ، يفتقد للمنهجية المتدرجة ، أخذ العامة معارفهم من العامة ، وكانت خُطب المساجد واستسهال الفتوى ، وطغيان ثقافة التحريم ، هو أخطر ما وجَّه عقول الأمة ، نحو الجمود والانغلاق والسذاجة والخرافات وإطلاق الأحكام جزافا ، وحوارات المصاطب ، بالشفاهية والسماع ، ودراسات هامشية بالمدارس ، ودراسات متحجرة بالتدريس الأزهرى، وها نحن فى مصر ، وبعد ثورتين ، وثورات العالم العربى ، ظننا أن حياتنا بعدها ستتغير رأسا على عقب ، وها نحن فى القرن الحادى والعشرين ، بنفس عقلية أول القرن العشرين ، عندما اتهموا أحمد لطفى السيد وعلى عبد الرازق وطه حسين وغيرهم بالإلحاد لأنهم يتكلمون عن الليبرالية ، واليوم يهرول الناس نحو بقرة قيل لهم أن لبنها يشفى من كل الأمراض ، ظللنا ندعو اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همنا ، ولامبلغ علمنا ، حتى سبقتنا أمم " الكون كله همها ومبلغ علمها " ، أثبتنا أننا أخرويون ميتافيزيقيون خياليون ، وجودنا على ظهر الأرض عبث ، زيادة على حمولتها ، وراح الناس يصدقون الدجالين أكثر مما يثقون فى العلماء ، وراح المهووسون يهتفون سندمر تلك الحضارة الفاجرة .

= فهل لدينا القدرة على الموازنة والتوازن ، بين ماهو دينى وما هو دنيوى ؟ لاحل لنا إلا بتغيير أنماط حياتنا ، والجرأة على اقتحام حقول تراثنا كله ، الدينى والتاريخى ، ومفاهيمنا العتيقة البالية والجامدة عن قرآن نقول أنه صالح لكل زمان ومكان ، فكيف يصلح لكل الأزمان والأماكن ، بفكر زمن واحد مضى ومكان واحد تبدد ؟ لامفر من الغوص فى تفاسير وفتاوى القدماء ، بمجسات الألغام والمحاريث والغرابيل والمناظير والمشارط والمحاليل المطهرة ، ومبيدات الحشائش .